هدف الصوم المقدس

نيافة الأنبا بنيامين مُطران المنوفية

الصوم المقدس هو أعلى درجات الصوم لأن السيد المسيح صامه في البرية وأظهر أهمية الصوم:

١- في تكامل العبادة: (الصوم والصلاة والصدقة) للتعبير عن الحب لله بالصوم، والحديث معه في الصلاة، ومحبة الإنسان من خلال الصدقة ومساعدة المحتاجين. ونتذكر ما قاله السيد المسيح لتأكيد هذا المعنى "أَلَيْسَتِ الْحَيَاةُ أَفْضَلَ مِنَ الطَّعَامِ، وَالْجَسَدُ أَفْضَلَ مِنَ اللِّبَاسِ" (مت ٦: ٢٥). لذلك نترك الطعام بعض الوقت كصوم انقطاعي للتعبير عن الحياة من خلال العلاقة مع الله مصدر الحياة الحقيقي وهكذا نحقق هدفًا مهمًا من الصوم.

٢- في مبدأ النصرة التي حققها السيد المسيح على الشيطان على مستويات الحياة الإنسانية الثلاثة:

أولها، الانتصار على رغبات الجسد: حين طلب منه الشيطان أن يُصَيِّر الحجارة خبزًا ورفض هذا.

ثانيها، الانتصار الروحي على صنع معجزة: حين طلب منه الشيطان أن يلقي بنفسه من على جناح الهيكل ورفض قائلاً "مَكْتُوب أَيْضًا: لاَ تُجَرِّب الرَّبَّ إِلهَكَ" (مت ٤: ٧).

ثالثها، الانتصار النفسي: حين عرض الشيطان أن يعطيه كل ممالك الأرض إن خَرَّ وسجد له فرفض السيد المسيح قائلاً "مَكْتُوب: لِلرَّبِّ إِلهِكَ تَسْجُدُ وَإِيَّاهُ وَحْدَهُ تَعْبُدُ" (مت ٤: ١٠)، وأمر الشيطان بالانصراف، مظهرًا أهمية الشبع النفسي للإنسان من الله فلا تؤثر فيه الغواية أو الترغيب أو محاولة الانجذاب.

٣- في مبدأ أهمية التوبة: والعودة لبيت الآب كما فعل الابن الضال الذي طلب ميراثه من أبيه وهو على قيد الحياة، وهذا نوع من التعدي على الأب، وكأن الابن الذي ضل قد اعتبره في حكم الميت طمعًا في ميراثه من أبيه. ولكن بعد أن أنفق كل ماله بعيشٍ مسرفٍ وبدأ يحتاج حينئذ شعر أنه محتاج لأبيه وليس لماله، فعاد إلى أبيه فوجده يرقب الطريق منتظرًا عودته، وما أن رآه حتى خرج مسرعًا فاتحًا أحضانه. اعترض الأخ الأكبر على قبول أخيه الأصغر لئلا يأخذ منه نصيبه، فطمأنه الأب أن الكل ملكه. حقًا حضن الآب مفتوح للتائبين العائدين يودون هذا الحضن فقط دون أي شيء آخر.

٤-في مبدأ قبول السامرية غريبة الجنس والعداوة مع اليهود: فلقد جاء الرب لتقتل العداوة بين البشر وبين الله وبين بعضهم البعض. فجاء أهل السامرة جميعًا من خلال دعوة المرأة السامرية لهم لكي يجلسوا معه مستمعين لكلامه الذي يزرع السلام في قلوبهم المضطربة، وينعمون بالمعرفة الروحية التي تجسد مفهوم الإيمان القلبي الذي صار فيهم بعد اللقاء مع المسيَّا المخلص، مما نَمَّى إيمانها به وبكلامه الذي سما بفكر مَنْ يسمعه لأنه تحدث معها عن الماء الحي (عمل الروح القدس في القلب)، إذ قال لها: "مَنْ يَشْرَبُ مِنَ الْمَاءِ الَّذِي أُعْطِيهِ أَنَا فَلَنْ يَعْطَشَ إِلَى الأَبَدِ، بَلِ الْمَاءُ الَّذِي أُعْطِيهِ يَصِيرُ فِيهِ يَنْبُوعَ مَاءٍ يَنْبَعُ إِلَى حَيَاةٍ أَبَدِيَّةٍ" (يو ٤: ١٤) فقالت المرأة السامرية "يَا سَيِّدُ أَعْطِنِي هذَا الْمَاءَ، لِكَيْ لاَ أَعْطَشَ وَلاَ آتِيَ إِلَى هُنَا لأَسْتَقِيَ" (١٥). ووصل معها في الحديث إلى الساجدين الحقيقيين الذين "يَسْجُدُون لِلآبِ بِالرُّوحِ وَالْحَقِّ، لأَنَّ الآبَ طَالِبٌ مِثْلَ هؤُلاَءِ السَّاجِدِينَ لَهُ. اَللهُ رُوحٌ. وَالَّذِينَ يَسْجُدُونَ لَهُ فَبِالرُّوحِ وَالْحَقِّ يَنْبَغِي أَنْ سْجُدُوا" (٢٣-٢٤). وحين ذكرت المسيا الذي حين يأتي يخبرهم بكل شيء أعلن الرب عن نفسه أمامها فذهبت تنادي "هَلُمُّوا انْظُرُوا إِنْسَانًا قَالَ لِي كُلَّ مَا فَعَلْتُ. أَلَعَلَّ هذَا هُوَ الْمَسِيحُ؟" (٢٩).

٥- مبدأ الشفاء الكامل لكل الكيان الجسدي: حين التقى السيد المسيح بالشخص المريض ٣٨ سنة وسأله "أَتُرِيد أَنْ تَبْرَأَ؟" (يو ٥: ٦) لأنه بجوار البركة التي كل مَنْ ينزل إليها أولاً يُشفى، فقال له المخلع "لَيْس لِي إِنْسَانٌ يُلْقِينِي فِي الْبِرْكَةِ مَتَى تَحَرَّكَ الْمَاءُ" (يو ٥: ٧). ففاجأه السيد المسيح بالأمر "قُمِ. احْمِلْ سَرِيرَكَ وَامْشِ" (٨). إلا أنه ظهرت مشكلة أن المعجزة حدثت يوم السبت واليهود يقولون "إِنَّهُ سَبْتٌ! لاَ يَحِلُّ لَكَ أَنْ تَحْمِلَ سَرِيرَكَ" (يو ٥: ١٠). فقال لليهود "إِن الَّذِي أَبْرَأَنِي هُوَ قَالَ لِي: احْمِلْ سَرِيرَكَ وَامْشِ" (١١).

وحين سأله الفريسيون من أبرأك؟ لم يكن يعلم أن يسوع هو الذي أبرأه. ولكن وجده يسوع وقال له "هَا أَنْتَ قَدْ بَرِئْتَ، فَلاَ تُخْطِئْ أَيْضًا، لِئَلاَّ يَكُونَ لَكَ أَشَرُّ" (يو ٥: ١٤). فقال لليهود أن يسوع أبرأه، وهذا جعل اليهود يريدون أن يقتلوا يسوع لأنه فعل هذا في السبت. ثم دار حوار بين السيد المسيح واليهود وضح لهم فيه أن الابن لا يفعل شيئًا بدون الآب، وأن الآب يحب الابن وقد أعطى الابن سلطانًا أن يدين أيضًا. ووضح أنه "تَأْتِي سَاعَةٌ فِيهَا يَسْمَعُ جَمِيعُ الَّذِينَ فِي الْقُبُورِ صَوْتَهُ، فَيَخْرُجُ الَّذِينَ فَعَلُوا الصَّالِحَاتِ إِلَى قِيَامَةِ الْحَيَاةِ، وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَى قِيَامَةِ الدَّيْنُونَةِ" (٢٨-٢٩). وهكذا ربط السيد المسيح بين الشفاء والتحرر من الشلل والعجز وبين التحرر من الموت والهلاك إلى الحياة.

٦- في مبدأ الاستنارة والبصيرة الروحية مع الجسد: فلقد خلق السيد المسيح عينان للمولود أعمى من خلال التراب، إذ تفل على الأرض وصنع من التفل طينًا وطلى به عيني المولود أعمى، وأمره أن يذهب ويغتسل في بركة سلوام فعاد مبصرًا. وهذا يشير إلى أهمية الماء في المعمودية التي تمنحنا بالماء والروح طبيعة جديدة وبصيرة داخلية تتناسب مع الولادة الجديدة. وهذا ما وضح في حديث المولود أعمى مع اليهود وبخاصة الفريسيين الذين قالوا له "فِي الْخَطَايَا وُلِدْتَ أَنْتَ بِجُمْلَتِكَ، وَأَنْتَ تُعَلِّمُنَا" (يو ٩: ٣٤)، وحاولوا أن يقنعوه بأن المسيح إنسانًا خاطئًا فقال لهم "أَخَاطِئٌ هُوَ؟ لَسْتُ أَعْلَمُ. إِنَّمَا أَعْلَمُ شَيْئًا وَاحِدًا: أَنِّي كُنْتُ أَعْمَى وَالآنَ أُبْصِرُ" (يو ٩: ٢٥)... وهذا ما نقتنيه من المعمودية الحكمة التي تتجلى في الإيمان القلبي والفكر المستنير والروح العالية. وهكذا نجد ختام الصوم بخلق هذه الحالة الروحية القوية التي تتجلى في تأثير المعمودية في كل مَنْ يختبر حياة البنوة الحقيقية لله وكنيسته، وهكذا نرى فوائد الصوم المقدس في هذه المبادئ الست في تكاملها معًا لخير الصائم.

الاتحاد الأقنومي في تجسد الله الكلمة هو اتحاد طبيعتين في شخص واحد بسيط.